يسوع والمعوزين (المحتاجين)

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: إنجيل لوقا ١: ٤٦-٥٥؛ إنجيل لوقا ٤: ١٦-٢١؛ إنجيل لوقا ٧: ١٨-٢٣؛ إنجيل متى ١٢: ١٥-٢١؛ إنجيل متى ٢١: ١٢-١٦؛ إنجيل مرقس ١١: ١٥-١٩؛ إشعياء ٥٣: ٣-٦.

آية الحفظ: **«روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشِّر المساكين، أرسلني لأشفي المُنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة» (إنجيل لوقا ٤: ١٨، ١٩).**

من بين أسباب أخرى لتجسُّده، جاء يسوع ليُظهِر لنا صفات الله. وقد تمم ذلك بواسطة تعاليمه، وبواسطة تضحيته، وبواسطة حياته؛ أي، بواسطة تفاعله مع عامَّة الناس. الكثير من أفعاله أحدثت تغييرات فورية وحقيقية وشاملة في حياة الآخرين.

لقد تمَّ التنبؤ عن هذا الجانب من خدمة المسيَّا بواسطة أنبياء العهد القديم، وتنبأت عنه مريم أم يسوع، وتنبأ به حتى يسوع نفسه عندما حدد مرسليته في أوَّل عظة مُسجَّلة له (إنجيل لوقا ٤). بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ كتَّاب الإنجيل غالبًا ما استخدموا لغة أنبياء العهد القديم في شرحهم لما كان يفعله يسوع عندما كانوا يسردون قصته. وبهذه الطريقة، تم رؤية حياة يسوع بكل جلاء ووضوح في تراث هؤلاء الأنبياء، متضمِّنة عاطفتهم نحو الفقراء والمظلومين.

غير أنَّ القادة الدينيين، رأوا في يسوع تهديدًا لهم. وفي مثال رهيب للظلم والوحشية، أمروا بالقبض على يسوع، ومحاكمته ظلمًا، وصلبه. في يسوع، شعر وأحس الله بالظلم — وفي موت يسوع، كشف أهوال الشر. وفي قيامة يسوع، انتصر للحياة والصلاح والخلاص.

* نرجو التعمَّق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ١٧آب (أغسطس).

ترنيمة مريم

تخيَّل المشهد: كانت مريم قد تلقَّت رسالة من الملاك جبرائيل قبل أيَّام قليلة مضت. وقد قال لها بأنها ستكون أمًّا ليسوع، ابن العلي. لم تكن قد أخبرت أحدًا بعد ولكنها تذهب لزيارة أَليصَابَات، قريبتها الأكبر سنًّا، التي كانت هي أيضًا تترقَّب طفل مُعجزة. وببصيرة روحية تُدرك أَليصَابَات أخبار مريم قبل أن تُتاح الفرصة لمريم لقول أي شيء، وتحتفلان كلاهما معًا بوعود الله وصلاحه.

اقرأ إنجيل لوقا ١: ٤٦-٥٥. لاحظ المزيج في التسبيح بين ما كان يعنيها هي فقط — «لأن القدير صنع بي عظائم» (لوقا ١: ٤٩) — وما هو الأكثر عمومية. لماذا يجب أن يشمل تسبيحنا وعبادتنا لله كلًا من التركيز الشخصي والعام؟

هذه ترنيمة مُدهشة تليق بأن تُضم إلى المزامير أو إلى كتابات أنبياء العهد القديم. لقد غُمِرَت مريم بإحساس من التَّعجُّب والشكر لله. لقد رأت بالتأكيد أنَّ الله يعمل في حياتها، ولكنها مُدركة أيضًا للمفهوم الأوسع لخطة الله لأمَّتها وللجنس البشري.

ولكن حسب فهم مريم، فإنَّ الله ليس قادرًا ومستحقًّا التسبيح فقط، بل هو أيضًا إله رحيم ويبدو أنه يهتم اهتمامًا خاصًا بالمتواضعين، والمنسحقين، والفقراء. وما كاد الملاك يُغادر بعد إعلان «الأخبار السارة» عن الولادة الوشيكة لمريم حتى أنشدت الآتي: «أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتَّضعين. أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين» (إنجيل لوقا ١: ٥٢، ٥٣).

مُباشرة عند بدء قصة حياة يسوع على الأرض، تمَّ تقديمه كحاكم (انظر إنجيل لوقا ١: ٤٣) — ولكن كحاكم لنوع مُختلف من الممالك. وكما وصفها العديد من المعلقين، فإنَّ مملكة الله التي جاء يسوع ليدشِّنها ويؤسسها كانت لتكون ‹منقلبة رأسًا على عقب›، عندما تُقارن مع النظام الاجتماعي المُعتاد في ممالك هذا العالم. في مواصفات مملكة يسوع، فإنَّ الأقوياء والأغنياء في هذا العالم هم الأدنى، والفقراء والمقهورين يحررون، يُشبَعون ويُرفَعون.

إذا كان على الكنيسة أن تكون تعبيرًا عن مملكة الله، ما مدى نجاح الكنيسة في إتِّباع نموذج المملكة المنقلبة «رأسًا على عقب» التي وصفتها مريم؟ كيف يمكن إتِّباع نموذج ‹المملكة المنقلبة رأسًا على عقب› الذي وصفته مريم؟ كيف يُمكن لشيء كهذا أن يُتَّبع، ولكن دون ظلم أو الإساءة إلى الأغنياء والأقوياء، الذين هم أيضًا من متقبِّلي محبة المسيح؟

بيان مُرسليَّة يسوع

سواء كانت القراءة المُقررة لذلك اليوم أو أنَّ يسوع قصد العثور على الآيات ذات الصلة (إشعياء ٦١: ١، ٢) في السفر الذي أُعطي له ليقرأ، لم تكن مُصادفة أنَّ هذه الآيات كانت النص لأول عظة علنية له. ولم تكن مُصادفة أيضًا أن تكون عظة يسوع القصيرة في إنجيل لوقا ٤: ١٦-٢١ «اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم» (إنجيل لوقا ٤: ٢١) — هي بداية سجل لوقا عن خدمة يسوع العلنية.

بدا وكأن يسوع قد التقط اللحن من ترنيمة مريم عن ‹المملكة المنقلبة رأسًا على عقب› وابتدأ في تحقيقها في خدمته. يسوع — وكذلك لوقا في سرده لقصة يسوع — استخدما نبوة إشعياء لشرح ما كان يفعله يسوع وما كان يوشك أن يفعله، ولكنها كانت أيضًا طريقة أخرى للتعبير عمَّا وصفته مريم قبل ٣٠ سنة خلت. الفقراء والمتألمون والمقهورون هم موضع تركيز خاص والمتلقوُّن للأخبار السارة التي أحضرها يسوع.

اعتمد يسوع هذه الآيات من إشعياء ٦١ كبيان لمُرسليته. فخدمته ورسالته كانتا لتكون روحية وعملية على حدٍّ سواء، وكان سيُبرهن بأنَّ الأمور الروحية والعملية ليست بعيدة عن بعضها البعض كما نعتقد نحن في بعض الأحيان. بالنسبة ليسوع وتلاميذه، كان الاهتمام بالناس جسديًا وعمليًا، في أقل تقدير، هو جُزء من الاهتمام بهم روحيًا.

اقرأ وقارن إنجيل لوقا ٤: ١٦-٢١ وإنجيل لوقا ٧: ١٨-٢٣. لماذا في اعتقادك أنَّ يسوع أجاب على هذا النحو؟ كيف ستكون استجابتك لأسئلة مشابهة حول ألوهية يسوع وكونه المسيا؟

عندما أرسل يسوع تلاميذه، كان التفويض الذي أعطاه لهم في توافُقٍ أيضًا مع مرسليته. فبينما كان عليهم أن يُعلنوا: «أنه قد اقترب ملكوت السموات» (إنجيل متى ١٠: ٧)، كانت تعليمات يسوع الإضافية لتلاميذه هي: «اشفوا مرضى. طهِّروا برصًا. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجانًا أخذتم، مجانًا أعطوا» (إنجيل متى ١٠: ٨). إنَّ خدمتهم باسمه كانت لتعكس ولتمثِّل قيم ومبادئ خدمة يسوع والملكوت الذي دعا الناس إليه. كان على التلاميذ، أيضًا، أن ينضموا مع يسوع في رسالته لرفع الذين في المؤخرة، والأدنى، والضالِّين.

كيف نوازن هذا العمل مع الرسالة الأساسية للكرازة برسائل الملائكة الثلاثة إلى عالم ضائع؟ لماذا ينبغي أن يكون كل ما نعمله، بطريقة أو بأخرى، على علاقة بإعلان «الحق الحاضر»؟

يسوع يشفي

تنتشر في الأناجيل الأربعة قصص معجزات يسوع، وبوجه خاص قصص الشفاء. وكما تنبأ إشعياء، فقد شفى العمي وأطلق المأسورين من الأمراض، أحيانًا بعد سنوات طويلة من العذاب (انظر، مثلًا: إنجيل مرقس ٥: ٢٤-٣٤؛ إنجيل يوحنا ٥: ١-١٥). ولكنه فعل أكثر من ذلك: لقد جعل العرج يمشون ثانية؛ وطهَّر البرص — ليس فقط بالكلمة ولكنه وضع يده عليهم (لمسهم)، مع أنَّهم كانوا ‹نجسين›؛ واجه الشياطين التي تملَّكت عقول الناس وأجسادهم؛ وحتى أنه أقام الموتى.

قد نتوقع أن يكون هدف هذه المعجزات هو جذب الجماهير وللتأكيد على قدرته أمام الكثيرين من منتقديه والمشككين به. ولكن هذا لم يكن هو الحال في جميع الأوقات. بدلًا من ذلك، غالبًا ما كان يسوع يُعطي تعليمات للأشخاص الذين شفاهم بألا يخبروا أحدًا عن ذلك. في حين يبدو أن الأشخاص الذين شفوا في الحال لم يتبعوا هذه التعليمات ويحتفظوا بأخبارهم العجيبة لأنفسهم، فقد حاول يسوع أن يُبيِّن بأنَّ معجزاته كانت حول أمر أكثر أهمية من مُجرَّد عرض مشهد. فالهدف الأسمى، بالطبع، هو أن ينال الناس الخلاص في يسوع.

مع ذلك، كانت معجزات شفاء يسوع تعبيرًا عن عطفه وشفقته. مثلًا، في الحدث الذي قاد إلى إطعام الـ ٥,٠٠٠، يروي متى: «فلما خرج يسوع أبصر جمعًا كثيرًا فتحنن عليهم وشفى مرضاهم» (إنجيل متى ١٤: ١٤). لقد شعر يسوع بألم أولئك الذين كانوا يُقاسون وفعل ما استطاع أن يفعله مع الناس الذين احتكَّ بهم ليعينهم ويرفعهم.

اقرأ نبوة إشعياء في إنجيل متى ١٢: ١٥-٢١. بأية طرق يحدد إشعياء ومتى ما كان يفعله يسوع على أنه شيء أكبر من كونه شفاء بضعة — أو حتى بضعة مئات — من الأشخاص المرضى؟

«إن كل معجزة أجراها المسيح كانت آية تشهد لألوهيته. لقد كان يعمل نفس العمل الذي قد أنبئ به عن مسيا. ولكن أعمال الرحمة هذه كانت في نظر الفريسيين إساءة مباشرة إليهم. كان رؤساء اليهود ينظرون إلى آلام الناس بفتور وعدم مُبالاة. وفي كثير من الحالات كانت أنانيتهم وظلمهم سببًا في تلك الآلام التي شفاها المسيح. وهكذا كانت عجائبه توبيخًا لهم» (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٣٨٣).

كانت معجزات يسوع الشفائية أعمال عطف ورحمة وعدل. ولكن في جميع الحالات، لم تكن في حدِّ ذاتها هي الغاية. في نهاية الأمر فإنَّ كل ما فعله المسيح كان لهدف قيادة الناس إلى الحياة الأبدية (انظر إنجيل يوحنا ١٧: ٣).

تطهير الهيكل

عندما نقرأ قصص يسوع في الأناجيل، غالبًا ما تجذبنا صور وداعة يسوع ولطفه — اهتمامه بالمرضى والأطفال، قصص بحثه وافتقاده للضالين، وكلامه عن ملكوت الله. وقد يكون هذا هو السبب في أنَّ بعض القصص الأخرى التي نرى فيها يسوع يتعامل بقسوة وبعنف — خاصة ضد القادة الدينيين في زمانه وفي بعض تصرفاتهم — يمكن أن تفاجئنا.

اقرأ إنجيل متى ٢١: ١٢-١٦؛ إنجيل مرقس ١١: ١٥-١٩؛ إنجيل لوقا ١٩: ٤٥-٤٨؛ وإنجيل يوحنا ٢: ١٣-١٧. ما هو الشيء المميز لحقيقة أنَّ هذه القصص المتشابهة قد وردت روايتها في كل من الأناجيل الأربعة؟

ليس من المُستغرب أن تكون هذه الحادثة مشمولة في كل واحد من الأناجيل. إنها قصة مليئة بالأحداث، والحركة، والعاطفة. من الواضح أنَّ يسوع كان قلقًا بشأن استخدام الهيكل بهذه الطريقة وإزاء استبدال العبادة الحقيقية ببيع حيوانات الأضاحي. يا له مِن تدنيس لما تمثله كل هذه الذبائح، الذي كان موته البديل عن خطايا العالم!

هذا الفعل المُباشر يتناسب بشكل جيد مع تقاليد أنبياء العهد القديم. هذه النقطة أُشير إليها في كل الأناجيل إما بواسطة يسوع أو كتبة الأناجيل مقتبسين من إشعياء، أو إرميا، أو المزامير ليشرحوا ما كان يحدث في هذه القصة. اعترف الشعب بيسوع كنبي (انظر إنجيل متى ٢١: ١١) وجاءوا إليه وهو يشفي ويُعلِّم في فناء الهيكل بعد أن طرد التُّجَّار والصيارفة. لقد كان الناس هم الذين عثروا على الشفاء في لمسته والرجاء ينمو في قلوبهم وهم يستمعون إلى تعاليمه.

اعترف القادة الدينيون أيضًا بيسوع كنبي — كشخص يهدد نفوذهم واستقرار مكانتهم الاجتماعية — وانصرفوا يُخططون لقتل يسوع، بنفس الطريقة التي تآمر بها أسلافهم على الأنبياء في القرون السابقة (انظر هذه المفارقة في إنجيل لوقا ١٩: ٤٧-٤٨).

كأعضاء الكنيسة، كيف يمكننا أن نقوم بواجبنا لنتأكد من أنَّ كنائسنا المحلية لن تُصبح أبدًا أماكن بحاجة إلى ما احتاج الهيكل إليه في زمن المسيح؟ كيف يمكننا أن نتحاشى هذه المخاطر الروحية؟ ما هي بعض تلك المخاطر، في الواقع؟

الخميس

١٥ آب (أغسطس)

صليب المسيح

إن حقيقة أنَّ الله هو الإله الذي يرى ويسمع صرخات الفقراء والمظلومين أمر يبعث على الراحة والعزاء. وأنَّ الله هو الإله الذي، في يسوع، قد اختبر وتحمَّل أبشع ما في العالم من وحشية، وقهر، وظلم، هو شيء مُذهل. بالرغم من كل العطف والصلاح اللذين أظهرهما يسوع في حياته وخدمته، فإنَّ موته جاء كنتيجة للبغض والكراهية والحسد والظلم.

بدءًا من صلاة مُعاناة يسوع في بستان جَثْسَيْمَانِي وحتى إلقاء القبض عليه، مُحاكماته، تعذيبه، الاستهزاء به، صلبه، وموته، تحمَّل محنة قاسية من الألم والوحشية والشر والسلطة الظالمة. وقد تفاقم كل هذا بسبب براءة، وطهارة، وصلاح ذاك الذي تحمَّلها إذ: «أخلى نفسه، آخذًا صورة عبد، صائرًا في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (فيلبي ٢: ٧، ٨). ومن خلال نظرنا بواسطة عدسة قصة الخلاص، نستطيع أن نرى جمال تضحية يسوع من أجلنا، ولكن علينا ألا ننسى وحشية المُعاناة والظلم اللذين قاساهما واختبرهما.

اقرأ إشعياء ٥٣: ٣-٦. ما الذي تُخبرنا به هذه الآيات عمَّا حدث ليسوع، البريء يتألَّم من أجل المُذنب؟ كيف يُساعدنا ذلك على فهم ما تحمَّله نيابة عنَّا؟

في يسوع، عَلِمَ الله شعور ضحية الشر والظلم. إنَّ إعدام شخص بريء هو إنتهاكٌ وإساءة؛ وقتل ابن الله، أكثر شناعة وفظاعة. لقد شبَّه الله نفسه معنا في حالتنا المحطَّمة والساقطة إلى حد أننا لا نستطيع الشك في عطفه ورأفته وأمانته: «لأنَّ ليس لنا رئيس كهنة [يسوع] غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مُجرَّب في كل شيء مثلنا، بلا خطية» (عبرانيين ٤: ١٥). يا لها من إعلان (رؤيا) عن صفة إلهنا! كيف يمكننا حتى أن نبدأ في تغليف عقولنا حول الأخبار السارة عن الله التي يمثلها الصليب؟

في كل ما نفعله من أجل الرب، خاصة في مساعدتنا للمحتاجين، لماذا يجب علينا دائمًا أن نُبقي موت يسوع، كبديل عنَّا — ليس فقط من أجلنا بل من أجل الذين نساعدهم أيضًا — محور مرسليتنا وهدفنا؟

الجمعة

١٦ آب (أغسطس)

لمزيد مِن الدرس: اقرأ لروح النبوة من كتاب خدمة المجتمع، من الفصل الذي بعنوان

«في خطى السيد»، صفحة ١١٧-١٢٤؛ من كتاب خدمة الشفاء، من الفصل الذي بعنوان «أيام الخدمة»، صفحة ١٦-٢٩؛ من كتاب مشتهى الأجيال، الفصل الذي بعنوان «لصوص في الهيكل»، صفحة ٥٥٣-٥٦٥؛ والفصل الذي بعنوان «هوذا الإنسان»، صفحة ٦٨٤-٧١٢.

«لقد قدَّم الله في كتابه البرهان الناصع الحاسم على أنه لا بد أن يُعاقب كل من يتعدون شريعته. فأولئك الذين يخدعون أنفسهم بالقول أن الله أرحم من أن ينفذ عدالته في الخاطئ عليهم فقط أن ينظروا إلى صليب جلجثة. إنَّ موت ابن الله الذي بلا عيب هو شهادة صريحة على أن «أجرة الخطية هي موت»، وأن كل انتهاك لشريعة الله لا بد أن يوقع بالخاطئ الجزاء العادل. إن المسيح الذي بلا خطية صار خطيئة لأجل الإنسان. لقد حمل جرم الخطية واحتجاب وجه الآب عنه حتى لقد انسحق قلبه وأزهقت روحه. وقد قُدّمت كل هذه التضحية لكي يُفتدى الخطاة. ولم تكن هنالك طريقة أخرى يتحرر بها الإنسان من قصاص الخطيئة. فكل نفس ترفض الاستفادة من الكفارة التي قد أُعدت بهذه الكلفة العظيمة لا بد من أن يتحمل صاحبها بنفسه جريمة التعدي وقصاصه» (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٥٨٧).

أسئلة للنقاش

١. اقرأ الفقرة أعلاه لروح النبوة. تكلم عن حقيقة وواقعية العدالة: المسيح، البريء، يقاسي قصاص وعِقاب الخاطئ المُذنب! لماذا من المهم جدًا أن نحتفظ بهذه الحقيقة الأساسية أمامنا؟

٢. لم يؤيد يسوع أبدًا الإصلاح السياسي من أجل تحقيق نوع «المملكة» التي أشار إليها. وعلى كل حال، فالتاريخ حافل بقصص محزنة جدًا لأناس استخدموا العنف والقهر، بدعوى وباسم مساعدة المنسحقين والمظلومين. وفي كثير من الأحيان فإنَّ كل ما تحقق هو استبدال أحد أنظمة القمع بنظام آخر. ومع أنَّ المسيحيين يمكنهم ويجب عليهم أن يعملوا مع السلطات القائمة لكي يُحاولوا مُساعدة المُنكسرين، فلماذا يجب على المسيحيين دائمًا أن يكونوا حذرين من استخدام السياسة لتحقيق هذه الأهداف؟

٣. تأمل فيما تطلبته خطة الخلاص. يسوع، العادل يتألم من أجل الظالمين — وذلك يعني كل واحد منا. لماذا يجب على هذه التضحية العظمة، بدلًا عنا، أن تجعلنا شعبًا جديدًا في المسيح؟

ملخص: قدَّمت الأناجيل وشرحت خدمة يسوع مُشيرة إلى أعمال أنبياء العهد القديم. أخبار سارة للفقراء، إطلاق للمأسورين، وشفاء للمنكسرين كلها أُعلِنَت كإشارات أو دلالات للمسيا — وهو شيء أظهره يسوع طوال خدمته. ومع ذلك، ففي موته عانى أيضًا من وطأة الظلم وانتصر أخيرًا على البشرية الساقطة واللاإنسانية. وبفضل موته ظلمًا لأجلنا، يمكن لخطايانا أن تُغفَر، وأصبح لدينا الوعد بالحياة الأبدية.